المبحث السابع عشر

نفع الناس بالشفاعة لهم

الشفاعة : السعي والوساطة في حصول نفع أو دفع ضر ، سواء كانت الوساطة بطلب من المنتفع بها أم كانت بمجرد سعي المتوسط ، ويقال لطالب الشفاعة : مستشفع ، وهي مشتقة من الشفع ، لأن الطالب [١] يأتي وحده فإذا لم يجد قبولاً ذهب فأتى بمن يتوسل به فصار ذلك الثاني شافعًا للأول [٢] .

قال الله تعالى : ﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا (٨٥) ﴾ [النساء : ٨٥] .

قال مجاهد : تلميذ ابن عباس رضي الله عنهما : « نزلت هذه الآيات في شفاعة الناس بعضهم لبعض » [٣] .

وفي الآية ترغيب وحضّ على الشفاعة التي تحقق المصالح المشروعة ، وبيان أن من يتوسط لقضاء حوائج العباد قد يَحصُل له من الأجر أكثر من ثواب من شفع عنده [٤] .

قال الشيخ / وهبة الزحيلي ـ حفظه الله ـ تعليقًا على هذه الآية :

« هي في شفاعات الناس ـ أي وسائطهم ـ بينهم في حوائجهم ، فمن يشفع لنفع فله نصيب وثواب لشفاعته الحسنة ، ومن يشفع ليضر فله كفل ، أي نصيب ، فهي تتضمن التحريض على الشفاعة في أمور الخير . . . كإنقاذ الضعفاء والمساكين ، والشفاعات في هذا الاتجاه مطلوبة لأنها تعاون على البر والتقوى ، وإبعاد للناس عن الشر والضرر ، وتحقيق البناء الاجتماعي المتين . . . أما الشفاعة

---

(١) الطالب : أي طالب الحاجة . . . وهو المشفوع في حقه .

(٢) الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير (١ / ٤٨٦) ط . دار سحنون المغرب .

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (٤ / ١٨٢) ، ط . مكتبة أولاد الشيخ ، القاهرة .

(٤) التحرير والتنوير ٣ / ١٤٤) بتصرف .

السيئة في الأمور الضارة ، فقد نهى القرآن الكريم عنها لضررها وإفساد الضمائر والنفوس ، والإساءة فيها للمصلحة العامة ، ومن أمثلة الشفاعة السيئة : التوسط لإيذاء شخص ، أو الاعتداء على عرضه أو ماله ، أو السعي بالإفساد بين الناس ، أو دفع الرشاوي لتضييع الحقوق أو الاستيلاء على مال الآخرين ، أو محاولة تعطيل حدّ من حدود الله أو تبرئة ظالم أو جان أو متهم باختلاس أو تزوير أو محاولة إهدار أو إنقاص حق من الحقوق المالية أو الأدبية ... فكل هذه الأمثلة من أنواع الشفاعة السيئة ، ومن شفع شفاعة سيئة فقد وقع في الإثم الكبير وعرّض نفسه لسخط الله تعالى » (١) .

وقد كان النبي ﷺ يطبق هذا العمل تطبيقًا عمليًا بين أصحابه ليقتدوا به ، يقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : « لقد كان النبي ﷺ إذا أتاه طالب حاجة : أقبل على جلسائه فقال : « **اشفعوا تُؤجروا ، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء** » (٢) . وفي هذا تحريض وحثٌّ منه ﷺ على الشفاعة لإعانة الناس في قضاء حوائجهم.

والوقائع كثيرة في أنه كان يشفع ويقبل الشفاعة ما لم يكن الأمر متعلقًا بحدّ من حدود الله ـ تعالى ـ فإنه يغضب ، لأن الشفاعة في الحدود يترتب عليها ضياع الحقوق ، ولهذا أنكر على أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، لما جاء يشفع في المخزومية التي سرقت وأهمَّ الناس أمرُها ، قال له : « **أتشفع في حدٍّ من حدود الله ؟** » ، ثم قام فخطب الناس ، قال : « **إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها** » (٣) .

---

(١) د. وهبة الزحيلي : التفسير الوسيط (١ / ٣٥٤ ، ٣٥٥) ط. دار الفكر المعاصر ، لبنان ٢٠٠١ ، وانظر الشيخ / عبد الحميد كشك في رحاب التفسير (١١ / ٩٧٥) ط. المكتب المصري الحديث .

(٢) البخاري برقم (١٤٣٢) ومسلم برقم (٢٦٢٧) .

(٣) البخاري برقم (٦٧٨٨) .

وكان رسول الله ﷺ يحرص أشد الحرص على أن تكون شفاعة المسلم لإخوانه خالصة لوجه الله تعالى ، مصونة عن الشبهات ، فشدد النكير في أن يشفع الإنسان شفاعة ويأخذ في مقابلها شيئًا .

فقد جاء في الحديث عن أبي أُمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**من شفع لأخيه شفاعة فأهدى له هدية فقبلها فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الربا**» (١) .

قال الإمام الصنعاني ـ رحمه الله ـ في شرحه على بلوغ المرام : « في هذا الحديث : دليل على تحريم الهدية في مقابل الشفاعة ، وظاهره سواء كان قاصداً لذلك عند الشفاعة أو غير قاصد لها ، وتسميته ربًا من باب الاستعارة للشبه بينهما ... » (٢) .

المسلم الضعيف في ظل انتشار الرشوة :

لقد انتشرت الرشوة ، وأصبحت أكثر الأعمال والمصالح لا تُقضى في الغالب إلا بهذا الطريق الذي يستوجب لعن السائر فيه ، فماذا يفعل المسلم في ظل انتشار الرشوة ، وشيوع الشفاعات السيئة ؟ .

إن مثل هذا الشيوع يَحَتِّم على كل مسلم أن يبذل شفاعته الحسنة لقضاء مصالح العباد وإعانتهم على تحصيل حقوقهم ، وإلا لم يجد المستضعفون طريقًا إلا الرشوة ! .

إن الأمة ـ الآن ـ تعاني أزمة « الروتين » القاتل ، في كافة المصالح تجد أكثر من قانون ميت ، وللأسف لم يفكروا في قبره والتخلص من رائحته العفنة ، والسبب في ذلك أن هناك من ينتفع من وراء هذا الميت ، يتأكل به ، لأن الناس إذا رأوا مصالحهم قد عُطِّلت أو وصلوا في سبيل قضائها إلى طريق مسدود أو شبه

---

(١) رواه أبو داود برقم (٣٥٤١) .

(٢) محمد بن الأمير الصنعاني ، « سُبل السلام » (٣/ ٨١٦) ط. دار الفكر ، بيروت ٢٠٠٣م .

مسدود ، اضطروا لدفع المال وبذله لقضاء حوائجهم .

فإذا أردت أن تشفع فتؤجر كما قال النبي ﷺ ، انظر فإن رأيت زميلاً لك في العمل يعطل مصالح الناس أو يبتزهم فاشفع لهم عنده بغضِّ النظر عن كونك تعرفهم أو لا تعرفهم . . . .

ووفق قاعدة الجزاء من جنس العمل ، فإن من يشفع يُجازى بإذن الله على شفاعته ووساطته في الخير بمن يشفع له ، ومن يدري لعله يحظى بشفاعة النبي ﷺ ، ويُقال له نحن أحق بذا منك يا من كنت تشفع للناس في الدنيا ! .

obeikandl.com